القيامة والعبور

لمثلث الرحمات نيافة الأنبا بيشوي

مقدمة لنيافة الأنبا ماركوس

"يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ جُدُدًا وَعُتَقَاءَ" (مت١٣: ٥٢).. "وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمْ بَعْدُ" (عب١١: ٤).

بعلم متنوع ومتسع مع تفاسير كثيرة ودقيقة تعلَّمنا من أبينا مثلث الرحمات نيافة الحبر الجليل سيدنا الأنبا بيشوي ومازلنا نتعلم من كنوز علمه ومعرفته الغزيرة في مجموعة من الكتب تصدر عن موضوعات مختلفة من عظات وتعاليم لسيدنا المطران الأنبا بيشوي يقوم بتجميعها وإعدادها للطباعة والنشر الأمهات راهبات دير القديسة العفيفة دميانة؛ وذلك لنستنشق منها عطر رائحة كاتبها، ومِن علمه الغزير، وما علَّم به طوال نصف قرن هي سنوات خدمة نيافته وذلك وفاءً وعرفانًا بتعب نيافته في تعمير الدير وإعادة الحياة الرهبانية به والاهتمام بالحياة الروحية داخل الدير بأبوة حانية ورعاية كاملة حتى أصبح الدير من أكبر وأقدم الأديرة الأثرية للراهبات في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

نطلب من ربنا يسوع المسيح أن يكون لإصدار هذه الكتب الفائدة المرجوة لكل مَن يقرأ وينهل منها.

بصلوات وشفاعات القديسة العذراء مريم والقديسة العفيفة دميانة والأربعين عذراء وبصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني أطال الله حياته وحفظه للكنيسة ولشعبه.

الأنبا ماركوس

أسقف دمياط وكفر الشيخ والبراري

ورئيس دير القديسة دميانة

أبريل ٢٠١٩م

مقدمة

صارت القيامة هي مصدر العبور من الهزيمة إلى النصرة **كما علَّمنا مطراننا الحبيب وأبينا الغالي مثلث الرحمات نيافة الأنبا بيشوي** أن أفراح القيامة تعمل في الإنسان الذي ذاق حلاوة النصرة مع السيد المسيح، فالقيامة ما هي إلاَّ الانتصار على الخطية والموت؛ فنحيا في جِدَّة الحياة. ونرتفع عن مستوى الخطية والمادة والأنانية والكبرياء. وقد رأينا في حياة نيافته قوة القيامة ومجدها وحريتها.. ومع إشراق فجر القيامة يشرق علينا نور تعاليم نيافته في هذا الكتاب "القيامة والعبور" مُجمعًا من عظات نيافته لينير أمامنا الطريق، ولترتفع أفكارنا وعقولنا إلى السمائيات..

لتعمل قوة القيامة في حياتنا لنحيا باستمرار حياة النصرة والغلبة على الجسد، العالم، والشيطان، وننجو من الحزن واليأس وقطع الرجاء والهزيمة.

ولا يفوتنا أن نقدِّم جزيل الشكر من عمق قلبنا لأبينا نيافة الأنبا ماركوس الذى لمحبته وتقديره لأبينا نيافة الأنبا بيشوى شجعنا ويشجعنا لكى نخرج كتاباته المملوءة تعاليمًا نافعة وتعزيات إلى

النور لكى ينتفع منها الجميع، بصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني وشريكه في الخدمة الرسولية أبينا المحبوب الأسقف المكرم نيافة الأنبا ماركوس أطال الرب لنا حياتهما سنينًا عديدة وأزمنةً مديدة.

راهبات دير الشهيدة دميانة ببراري بلقاس

عيد القيامة المجيد

أبريل ٢٠١٩م

فصح جديد وعبور جديد

يقول معلّمنا بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟ إِذًا نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ. لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا. إِذًا لِنُعَيِّدْ لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ" (١كو٥: ٦-٨)...

كان شعب بني إسرائيل لا يأكلون الخمير في أيام الفصح لمدة سبعة أيام، وكانوا في هذه الأيام يأكلون فطيرًا، فالخمير يرمز إلى الخطية كما ذكرنا في رسالة معلّمنا بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس التى يسترجع فيها ذكريات الفصح اليهودي، ويذكّرهم لماذا كانوا يأكلون الفطير في أيام الفصح ولا يأكلون خبزًا مختمرًا. فقد ورد في سفر الخروج: "سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُونَ فَطِيرًا. الْيَوْمَ الأَوَّلَ تَعْزِلُونَ الْخَمِيرَ مِنْ بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَكَلَ خَمِيرًا مِنَ الْيَوْمِ الأَوَّلِ إِلَى الْيَوْمِ السَّابِعِ تُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ... وَتَحْفَظُونَ الْفَطِيرَ لأَنِّي فِي هَذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ أَخْرَجْتُ أَجْنَادَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ فَتَحْفَظُونَ هَذَا الْيَوْمَ فِي أَجْيَالِكُمْ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً" (خر١٢: ١٥،١٧).

✞ يمكننا أن نشبّه حياة الإنسان كلها بسبعة أيام؛ فلقد خلق الله العالم كله في ستة أيام واستراح في اليوم السابع وقدَّسه. فكما كان بني إسرائيل لا يأكلون خميرًا في سبعة أيام الفصح هكذا يجب أن تكون حياة الإنسان كلها خالية من خمير الخطية كما يقول معلمنا بولس الرسول: "تَنَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ" التي هي الإنسان العتيق، يقصد طريقة الحياة الأولى.

إن المعمودية تعطينا طبيعة جديدة، وبالرغم من أن القديس بولس الرسول يتحدث إلى مؤمنين مُعمَّدين لكنه يقول لهم: "**تَنَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ**"...

لذلك يجب على الإنسان أن يلاحظ نفسه باستمرار

لئلا يدخل خمير الخطية إلى حياته، فعيد الفصح -عيد القيامة- يجب أن يكون خاليًا من الخطية، والشر، والخبث،

لكي يستطيع الإنسان أن يُعَيّد الفصح

ويأكل فصحًا حقيقيًا...

"إِذًا لِنُعَيِّدْ لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ بَلْ بِفَطِيرِ **الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ**". "الإخلاص" يعني أن يتأمّل الإنسان بإخلاص في الوعود التي قدمها في المعمودية، ويتأمّل دعوته بإخلاص،

ويعرف قيمة العطية التي نالها كابن لله، ويكون مُخلِصًا لما وُعِد به وما وَعد به هو أيضًا؛ فقد قطع على نفسه عهدًا في المعمودية ألاَّ يرجع إلى الخطية مرة أخرى وأن يكون عدوًا للشيطان حيث جحده رافضًا أعماله الشريرة.

✞ الفصح يرمز إلى القيامة، وحينما ذُبح خروف الفصح في مصر استطاع شعب إسرائيل أن ينجو من الهلاك بدم الخروف؛ عبَر عنهم الملاك المهلك، وعبروا هم من أرض مصر إلى أرض كنعان، وعبروا أيضًا البحر الأحمر. وكلمة بصخة (Passover) تعني عبور، فالفصح هو العبور. وكما أن الفصح يختص بيوم الخلاص العظيم الذي ذُبح فيه السيد المسيح على الصليب هكذا الفصح أيضًا يختص بقيامته لأن القيامة هي أيضًا عبور..

القيامة كان فيها العبور من الحزن إلى الفرح،

ومن الظلمة إلى النور،

من القبر المظلم إلى نور القيامة العجيب.

القيامة هي انتقال من الأرض إلى السماء.

السيد المسيح بقيامته من الأموات

صعد إلى السماوات جسديًا

وأعطانا أن نرتفع بقلوبنا إلى يمين العظمة

في الأعالي حيث هو جالس.

القيامة والعبور من الموت إلى جدة الحياة

عيد الفصح هو العبور من حياة الخطية إلى حياة النعمة، العبور من الموت إلى جدة الحياة. القديس غريغوريوس النزينزي يخاطب الفصح ليس بكونه عيدًا أو ذِكرَى، لكنه يخاطبه مخاطبة حقيقية لأن فصحنا هو السيد المسيح، فيقول: "يا أيها الفصح العظيم القدوس يا مُطَهِر كل العالم أخاطبك كما أُخاطب حيًا، يا كلمة الله، أيها النور، والحياة، والحكمة، والقدرة، أنا أتهلل بكل أسمائك، أُضبط فينا طغيان الجسد، وارفع عنا عندما نُدان أمامك، عندما نبلغ مرامنا ونُقْبَل في المساكن الأبدية، هناك أيضًا نُسرع بتقدِّيم قرابين شكرنا لك على مذبحك المقدس" (عظة القديس غريغوريوس رقم ٤٥، العظة الثانية عن القيامة، الفقرة ٣٠).

الفصح هو عبور وليس مجرد احتفال، وعيد القيامة وفترة الخمسين المقدسة التي نحتفل بها بعد عيد القيامة ليست مجرد لبس الملابس الجديدة أو أكل الأطعمة أو الأفراح الخارجية؛ لأن

الذين هم للمسيح يسوع يستطيعون أن يعيِّدوا عيدًا حقيقيًا بتسبيح قلوبهم، لأن الله لا يقبل تسبيح الخطاة، فأفراح القيامة هي أفراح النصرة. يقول القديس أثناسيوس الرسولي: "رغم أن الأشرار يأتون إلى العيد ويحفظونه ويستحسنونه ويدخلون وسط جماعة القديسين في الكنيسة إلا أن الله لا يقبلهم" (رسالة القديس أثناسيوس الفصحية رقم ٧ لعام ٣٣٥، الفقرة ٤).

القيامة والعبور من الهزيمة إلى النصرة

القيامة هي إعلان الحياة الأبدية؛ الحياة الجديدة للإنسان، وهي العبور بطبيعتنا من الموت، وإمكانية الانتصار على الموت والانتصار على سلطان المادة وسلطان العالم، بل هي أيضًا التحرر من كل معاناة هذا الزمان الحاضر، وانطلاق طبيعتنا من هبوطها ومعاناتها إلى مجدها وفرحها وانتصارها وتحررها من كل رباطات الخطية والموت، وكل هذا تمّ في شخص السيد المسيح الذي حمَل خطايا البشرية ودفَنها في القبر، ثم قام حيًا من الأموات.

علينا أن نعيش في حياة العبور باستمرار، حيث يعبر الإنسان الخاطئ من حياة الخطية إلى حياة النعمة، ويعبر الإنسان البار من فضيلة إلى فضيلة، إلى أن يعبر إلى حياة أبدية لا تزول.

حقًا إن أبناء هذا الجيل أحكم من أبناء النور (انظر لو١٦: ٨).

يعتز أبناء جيلنا بعبور أكتوبر ويرددون عبارة روح أكتوبر العظيم وروح العبور من الهزيمة إلى النصرة ومن اليأس إلى الرجاء والقوة، والعبور من الخراب إلى التعمير، مجرد عبور زمني بسيط له هذا المجد فكم يكون مجد القديسين في عبورهم من الموت إلى الحياة بقوة ذاك الذي قام من الأموات وداس الموت بموته وأعطى الحياة للذين في القبور!!

القيامة هى الفصح والعبور الذي نعتز به، وكل إنسان مسيحي يحيا الآن بروح العبور والفصح، يقول مع بولس الرسول: "لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ" (في٣: ١٠)

ونلاحظ هنا أنه يقدِّم قوة قيامته قبل شركة آلامه...

❖ **الإنسان الذي يقبل روح العبور في حياته لا يقبل إطلاقًا أن يبقى في حياة الخطية، لا يقبل أن يقف عند فضيلة واحدة**

فقط أو في مستوى روحي معين، لا يقبل أن يكتفي بقدر معين من التمتع بالله لكن عنده روح تدفعه إلى التقدم باستمرار.

- **روح الفصح تجعل الإنسان يحتقر الأمور المادية الزمنية، ولا يحب أمور هذا العالم ولكن يعبر من محبة العالم إلى محبة السماء، وهذه هي المحبة الحقيقية.**
- **الإنسان الذي مشاعره وروحه وحياته تشتاق إلى السماء يستطيع أن يرث ملكوت الله، أما الإنسان المنحدر بعواطفه وقلبه واشتياقاته نحو الأرض فهذا لا يمكن أن يرث ملكوت الله، ولو فُتح له باب الملكوت لا يستطيع أن يدخله لأنه ليس عنده روح العبور.**

في مثل الغني ولعازر قال أبونا إبراهيم للغني: "بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ" (لو ١٦: ٢٦). فلم تكن لدى الغني روح العبور التي تعبر به هذه الهوَّة العميقة التي تفصل الأشرار عن ملكوت الله فبقي في تلك الهوة.

القيامة والعبور وقوة التغيير

الله الكلمة المتجسد الذي "إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى" (يو١٣: ١)؛ انتصرَت محبته على الصليب. أراد السيد المسيح أن يحرر الإنسان من محبته لذاته. فمشكلة الإنسان هي الأنانية، وأنه يحب نفسه، ومشغول بنفسه. أما على الصليب فقد بيَّن لنا السيد المسيح من الناحية الإنسانية، كيف يمكن أن يضحي الإنسان بحياته من أجل الآخرين. فقد أخذ السيد المسيح طبيعتنا البشرية لكي يحررها من الأنانية، ولكي يعبر بنا من محبة الأنا إلى التضحية بالنفس حبًا في الآخر، من أجل ذلك يقول: "بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ" (١يو٣: ١٦). فبالمسيح يصبح الإنسان الذي كان يحب نفسه، يستطيع أن يضحي بها. لأنه على الصليب انتصرت المحبة، إذ أن التضحية بالنفس هي أسمى درجات الحب، وفي القيامة انتصرت الحياة... الحياة الغالبة للموت.

أراد السيد المسيح أن ينقل طبيعتنا

ويعبر بها من حالة الأنانية إلى حالة التضحية،

أي أن يعبر بها إلى إشراقة المحبة،

وكانت القيامة هي النتيجة الطبيعية لاستقبال

طاقة الحب الجبارة الهائلة المعطاة لنا من الله،

"لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ" (١يو٤: ٨)،

والله أيضًا هو واهب الحياة،

فالذي يستقبل عطية الحب

فإنه تلقائيًا يستقبل عطية الحياة.

فلما عبر السيد المسيح بنا من حالة الأنانية

إلى حالة البذل والعطاء والمحبة،

أُعلنت حالة انتصار الحب هذه بواسطة القيامة.

وهنا نتساءل متى انتصر الحب؟ هل انتصر على الصليب أم انتصر في القيامة؟ وربما تصعب إجابة هذا السؤال؛ لأن الصليب انتصار والقيامة انتصار، لكن الفرق بين الانتصارين أن **الصليب انتصار داخلي والقيامة انتصار خارجي. فإذا استطاع الإنسان أن ينتصر داخليًا عن طريق التضحية، يقدر أن ينتصر خارجيًا عن طريق القيامة. إذا انتصر داخليًا بقبول الصليب، يقدر أن ينتصر خارجيًا حينما يتكلل. إذا استطاع أن يُكَلل بإكليل الشوك يستحق أن يُكَلل بأكاليل النصرة على الموت، لأنه ما هو الموت؟ هو الأنانية. فإذا انتَصَرْتَ على الأنانية انتَصَرَتْ المحبة، وانتصار المحبة هو الحياة الجديدة،**

والحياة الجديدة هي القيامة. الذي لم ينتصر من الداخل لا يقدر أن ينتصر من الخارج.

لكي تختبر القيامة في حياتك وتحررك من محبة العالم

لابد أن تفتح قلبك لمحبة السيد المسيح الفائقة،

وتجري مع التلاميذ لتبحث عن يسوع القائم

ويكون لديك الرغبة الحارة أن تفرح برؤيته.

القيامة والعبور إلى ما هو أفضل

كل شيء إذا كُسر من الصعب أن يعود إلى حالته الأولى، وأي شيء إذا فسد أحيانًا يكون من الصعب إصلاحه، إلاَّ الحياة مع الله ممكن أن تبدأ من جديد في كل يوم.. هلم فلنبدأ بداءً حسنًا.

الله عندما يتدخل ليس فقط يعيد إصلاح الحالة ولكنه يستطيع بإمكانيات ضخمة جدًا أن يرفع الإنسان إلى حالة أفضل بكثير مما كان عليه قبل أن يخطئ...

يوجد فرق بين شخص يبيع أبديته وآخر مشغول بالتفكير في أبديته، حتى ولو كانت له بعض الضعفات البشرية، لكنه يلتصق بالله ويطلب البركة ويسعى ويَجِدُّ في إثرها حتى ينال المواعيد. وقد يعطي الله للإنسان بعض التأديبات لعلاج ضعفاته لكي ينتبه لنفسه ويتوب، مثلما قال الله في القديم عن سليمان: "أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا. إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ، وَلَكِنَّ رَحْمَتِي لاَ تُنْزَعُ مِنْهُ" (٢صم٧: ١٤،١٥).

الذي يفكر في الميراث الأرضي لن يحصد شيئًا، لذا يقول معلِّمنا بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين عن أب الآباء إبراهيم: "بِالإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهَذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ، لأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ" (عب١١: ٩، ١٠).

بالقيامة تفجرت الحياة الجديدة وتفجّر صبح جديد..

أشرَق نهار جديد على البشرية.

القيامة الحقيقية ليست فقط أن نؤمن بقيامة يسوع المسيح

إنما هي اشتراكنا معه في قيامته

وتحررنا من الموت ومن الخطية.

ما أعجب حكمة السيد المسيح: من الموت تولد الحياة،

من الألم يولد المجد، من الاتضاع تأتى الكرامة.

لقد استطاع اللَّه أن يُحَوِّل مَلامح الضعف البشري إلى أمجاد؛ لكي نفهم أن الضعف الذي سقطت فيه البشرية سوف يُحَوِّله اللَّه الآب بإرسال ابنه الوحيد متجسدًا لأجل خلاص العالم؛ حتى يُعطي الذين آمنوا به البنوة للَّه ويعطيهم أن يصيروا ورثة كما يقول معلمنا بولس الرسول: "فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا وَرَثَةُ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ" (رو٨: ١٧).. ورثة الحياة الأبدية.

وهذه بعض النقاط كأمثلة لقدرة الله في تحويل ملامح الضعف البشري إلى أمجاد وقوة:

- ❖ عندما سقط الإنسان تدخل اللَّه ليخلِّصه فلم يُرجعه لجنة عدن التي بين النهرين، ولكنه وعد إن الذين سينالون الخلاص سيذهبون لملكوت السماوات حيث عرش الآب السماوي. فمعلمنا بولس الرسول يقول "وَلَكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيَّةِ هَكَذَا أَيْضًا الْهِبَةُ" (رو٥: ١٥).

❖ قال بطرس الرسول للسيد المسيح: "وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَدًا" (مت٢٦: ٣٣)، فقال له "إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ" (مت٢٦: ٧٥)، أما هو فقال له "وَلَوِ اضْطُرِرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لاَ أُنْكِرُكَ" (مت٢٦: ٣٥). ولكنه أنكر السيد المسيح ثلاث مرات.. لكن بعد القيامة "قَالَ لَهُ الرب أَيْضًا ثَانِيَةً: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي؟" قَالَ لَهُ: "نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ" قَالَ لَهُ: "ارْعَ غَنَمِي" (يو ٢١: ١٦). بعد هذه العبارة ظل بطرس طوال حياته يتذكر الحنان الذي تعامل به السيد المسيح معه عندما رده إلى رتبته الرسولية مرة أخرى.

❖ شك التلاميذ في السيد المسيح "قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: كُلُّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ" (مت٢٦: ٣١)، لكنه ترفَّق بضعفهم البشري، وعندما قام من الأموات يقول الكتاب: "فَفَرِحَ التّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ" (يو ٢٠: ٢٠).

❖ توما الرسول لم يكُن موجودًا مع التلاميذ عندما ظهر لهم السيد المسيح يوم أحد القيامة وقال: "إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ وَأَضَعْ يَدِي فِي

جَنْبِهِ لاَ أُومِنْ" (يو٢٠: ٢٥). فظهر لهم السيد المسيح في الأحد التالي للقيامة ومعهم توما الرسول وقال له: "هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا" أَجَابَ تُومَا: رَبِّي وَإِلَهِي" (يو٢٠: ٢٧-٢٨).

مثلما قال قداسة البابا شنوده الثالث –نيح الله نفسه ونفعنا بصلواته– في قصيدة القيامة:

قُم حطم الشيطان لا تُبق لدولته بقية
قُم بشِّر الموتى وقُل غُفرت لكم تلك الخطية
واغفر لبطرس ضعفه وامسح دموع المجدلية
واكشف جراحك مُقنعًا توما فريْبَتَه قوية

هنا يوضح أن توما كان يشُك وكانت ريبته قوية ولكن عندما أتى إليه السيد المسيح أزال الشك الذي كان في نفسه.

❖ ظهر السيد المسيح بعد القيامة للتلاميذ لا لكي يلوم تشتتهم بسبب أحداث الصلب المؤلمة جدًا؛ بل **جاء لكي يُضَمد الجروح ويعالج الوضع** حتى ولو كان أحيانًا يُعاتب... مثلما

قال بعد قيامته لبطرس: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي؟" (يو ٢١: ١٦). عتاب رقيق ولكنه ردَّه إلى رتبته مرة أخرى.

❖ عندما ظهر السيد المسيح للتلاميذ "وَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ" (مر ١٦: ١٤)... وبخهم أي "أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ" (لو ٢٤: ٤٠) لكي يؤكد لهم أنه هو الذي صُلب وهو الذي قام، وقال لهم "هَذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ" (لو ٢٤: ٤٤-٤٥). أي أعطاهم عطية فائقة للطبيعة لكي يفهموا الكتب والأسفار والنبوات الكثيرة التي قيلت عنه والأحداث الكثيرة التي حدثت في العهد القديم...

❖ عندما صُلب السيد المسيح، وجدنا التلاميذ قد أغلقوا على أنفسهم، فيقول معلمنا يوحنا الرسول: "وَكَانَتِ الأَبْوَابُ مُغَلَّقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلاَمِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُود" (يو ٢٠: ١٩) لكنهم ظلوا محتفظين بولائهم للسيد المسيح، ولم ينضموا لليهود الذين صلبوه. لذلك عندما ظهر لهم السيد المسيح بعد القيامة وهم خائفون قال لهم: "سلاَمٌ لَكُمْ. فَفَرِحَ التّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ" (يو ٢٠: ٢٠). أعطاهم عطية السلام

"إيريني باسي" **Ⲓⲣⲏⲛⲏ ⲡⲁⲥⲓ** وهي العبارة التي يقولها الكاهن دائمًا في أول الصلوات الكنسية.

كما أعطاهم موهبة الكهنوت "وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ" (يو٢٠: ٢٢، ٢٣)، هذه النفخة هي موهبة الكهنوت. كما قال لهم: "كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا" (يو٢٠: ٢١)، ولكن لن أرسلكم فارغين؛ سأرسلكم كي تغفروا خطايا البشر بحسب الموهبة المعطاة لكم "مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ" (يو٢٠: ٢٣)، بالطبع عن طريق الاعتراف، ومن هذا المنطلق قاموا بسيامة أساقفة وقسوس وأصبحت هناك خلافة رسولية في الكنيسة.

استشهد آباؤنا الرسل ونالوا إكليل الشهادة، والشهادة تعني أنهم شهدوا بقيامة السيد المسيح من الأموات، ولأنهم يؤمنون بالقيامة فهم لا يخافون من الموت. حتى أن معلِّمنا بولس الرسول قد قال: "لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا" (في١: ٢٣). إن الذي يخاف من الموت ليس لديه إيمان بالحياة الأبدية، أو ليس لديه إيمان أنه سيقوم

بجسد نوراني مُمجد ويرث الملكوت؛ لذلك عندما شهد التلاميذ للقيامة وإيمانهم بالتجسد والفداء صاروا شهداء.

القيامة والعبور من الهاوية

الإنسان الضائع الذي سقط في فخ إبليس، وسقط تحت الغضب الإلهي كان يحتاج إلى مَن يخلِّصه. كقول الرب: "مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ أَفْدِيهِمْ" (هو١٣: ١٤).

وكان الأمر يحتاج إلى مَن يسحق سلطان الموت ويهزم طغيانه، ويحتاج إلى مَن يستطيع أن يحرر المسبيين ويخلِّصهم من أسر إبليس وينقذهم من الغضب الإلهي.

وبعد تمرد الإنسان على الله آلاف السنين جاء السيد المسيح وأتَّم المصالحة. هل كان الإنسان يدرك كم كانت خطيئته مسيئة؟! وكم أحزنَت خطايا البشر قلب الله المُحب؟! وأنه لابد لكي تنصلح الأمور أن يشعر الإنسان بخطيئته، وليس مجرد الشعور بأنه أخطأ فقط، لكن لابد أن يعرف مقدار خطيئته وإلى أي مدى قد وصلَت، وماذا فعلَت.

عندما ظهر السيد المسيح لتلاميذه بعد القيامة كان يردد عبارة: "سَلاَمٌ لَكُمْ" (يو٢٠: ١٩؛ لو٢٤: ٣٦). إنه سلام المصالحة مع الله بالفداء الذي صنعه على الصليب، وعبَّر عنه بعد القيامة المجيدة.. السلام الناشئ عن غفران الخطايا التي تزعج القلب وتقلق الضمير.

ولكن لم يكُن كافيًا أن يُصلب السيد المسيح فقط لكن كان يجب أن تعلن المصالحة بالقيامة. كانت الكنيسة حزينة وفي كآبة كما قال السيد المسيح لتلميذَي عمواس: "مَا هَذَا الْكَلاَمُ الَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ؟ فَأَجَابَ أَحَدُهُمَا الَّذِي اسْمُهُ كَلْيُوبَاسُ: هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحْدَكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمِ الأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ؟ فَقَالَ لَهُمَا: وَمَا هِيَ؟ فَقَالاَ: الْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ النَّاصِرِيِّ الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ. كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ الْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ. وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلَكِنْ مَعَ هَذَا كُلِّهِ الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذَلِكَ" (لو٢٤: ١٧-٢١).

لقد أُعلِنَت المصالحة عندما أعلن السيد المسيح أنه قام مِن الأموات. فالمصالحة تمَّت على الصليب، لكنها أُعلِنَت عندما أعلن السيد المسيح لتلاميذه أنه قام من الأموات وظهر لهم، كما نقرأ في الإنجيل بحسب معلِّمنا لوقا الإنجيلي: "وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسَطِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ. فَجَزِعُوا وَخَافُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا. فَقَالَ لَهُمْ: مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ. جُسُّونِي وَانْظُرُوا فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي. وَحِينَ قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِين مِنَ الْفَرَحِ وَمُتَعَجِّبُونَ قَالَ لَهُمْ: أَعِنْدَكُمْ هَهُنَا طَعَامٌ؟ فَنَاوَلُوهُ جُزْءً مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ وَشَيْئًا مِنْ شَهْدِ عَسَلٍ. فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ" (لو ٢٤: ٣٦-٤٣)... لقد كان صلب السيد المسيح جريمة ارتكبتها البشرية، ولو لم يقُم السيد المسيح، ما كانت البشرية ستفهم المصالحة حتى لو كان قد وفَّى الدين. كما قال مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث -نيح الله نفسه ونفعنا بصلواته-: "إن السيد المسيح بموته على الصليب حل مشكلة الخطية، وبقيامته حل مشكلة الموت". ونستطيع أن نقول على نفس السياق أن السيد المسيح بموته على الصليب وفَّى الدين الذي كان علينا،

وبقيامته أعلن أن الآب قَبِلَ المصالحة. ويوضح هذا المثال التالي: إذا كان شخص يلهو بمسدس، فقتل أباه عن طريق الخطأ، سيظل يبكي ويصرخ ويقول: "إني لن أسامح نفسي وأنا مرتكب جريمة قتل". ولن يستريح ضميره ويطمئن إلاَّ عندما يجد أباه يفتح عينيه ويقول له: "يا ابني أنا حي". كذلك السيد المسيح مات فعلاً، لكنه عندما قام من الأموات، أرجع الأمل والرجاء لأنه أعلن الحياة الجديدة.

أرسل الآب كلمته متجسدًا، وبمشورته وعلمه السابق سمح أن يُصلَب الكلمة فداءً عن البشرية، لكي يتمم المصالحة بين الله والإنسان، ثم أقامه من الأموات ناقضًا أوجاع الموت، لكي يُعلن أن الفداء والمصالحة قد تمَّا. كما قلنا في المثال التوضيحى أنه لكي يعرف الذي قتل أباه أن الله قد سامحه، لابد أن يقوم أبوه..

إن مشهد الصليب لا يمكن أن تنساه البشرية، سوف تظل تتذكره دائمًا، وتتكلم عن السيد المسيح الذي فتح يديه على الصليب من أجل أن يهبها الحياة. ولكن لكي لا تشعر أنها أجرمت في حقه وتعيش حزينة عند الصليب؛ قام من بين الأموات وظهر حيًا، لكنه احتفظ بالجراحات لأن الجسد الذى مات ودفن هو الجسد القائم من الأموات. وهكذا قال معلمنا

بولس الرسول: "الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (رو ٤: ٢٥).

عندما يشعر الشخص بخطيئته ويتوب عنها وتُغفَر بدم السيد المسيح، لا يقول إنه لن يسامح نفسه عن هذه الخطية، لأننا نؤمن أن دم السيد المسيح يغسل الخطية. لا بد أن تؤمن أن "دَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ" (١يو ١: ٧)، وأن تشعر بفرحة الخلاص وتردد مع المرنم قائلاً: "رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ" (مز ٥١: ١٢). فعلى قدر ما ينبغي للإنسان الذي يخطئ أن يوبخ نفسه ويتذكر الدينونة ومخافة الله، ويقدِّم توبة، ويعترف، ويتناول من الأسرار المقدسة، ويعيش حياة التوبة على قدر ما ينبغي، عليه أيضًا أن يثق أن الله قد سامحه وغفر له.

عندما يتوب الإنسان توبة حقيقية؛

يجد أمامه الله الحنون

الذي يخفف من أحماله وأحزانه التي نتجت بسبب خطاياه

باعتبار أن الله هو الذي وفّى عنه الدين.

الغفران في المسيحية ليس غفرانًا بلا ثمن، بل هو غفران مدفوع الثمن. والذي دفع الثمن هو السيد المسيح بدافع محبته لكي يخجل الخطاة من هذا الحب العجيب...

عندما جاء الجنود الرومان ليقبضوا عليه في ليلة صلبه قال لهم: "مَنْ تَطْلُبُونَ؟ فَقَالُوا: يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ. أَجَابَ: قَدْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا هُوَ. فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هَؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ. لِيَتِمَّ الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ: إِنَّ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لَمْ أُهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا" (يو١٨: ٧-٩).

والأمر لا يقتصر على أن يترك الجنود الرومان التلاميذ، بل وكأن السيد المسيح يقول لهم: أنا سأفديهم من يد الهاوية، ومن الموت أخلصهم (أنظر هو ١٣: ١٤) وأنا سأموت عوضًا عنهم.

أحضر اليهود المرأة التي أُمسكت وهي تزني في ذات الفعل، وجاءوا بها إلى السيد المسيح وقالوا: "مُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟" فقال لهم: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ" (يو٨: ٥-٧) فألقوا كلهم الحجارة وذهبوا.

هل السيد المسيح هنا كسر شريعة موسى؟ بالطبع لا. ونجده يقول للمرأة: "يَا امْرَأَةُ أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ

أَحَدٌ؟ فَقَالَتْ: لاَ أَحَدَ يَا سَيِّدُ. فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: **وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا**" (يو٨: ١٠، ١١) وبالرغم من أن السيد المسيح بلا خطية وله الحق أن يرجمها، لكنه قال: لا. أنا سأحمل خطيتها، كما قال عنه إشعياء النبي: "**حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ**" (أش٥٣: ١٢) وأيضًا "الرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا" (أش٥٣: ٦).

ليتنا نكون مستعدين وساهرين

ولا نتساهل مع أنفسنا،

لكي نؤهل لميراث الحياة الأبدية،

لأن الجهاد الروحي يحتاج إلى يقظة، وثقة في مواعيد اللَّه.

فلا نخاف ولا نستهن بالحرب..

ونظل طوال حياتنا وإلى آخر لحظة من عمرنا

في هذه اليقظة المستمرة..

والرب يعطينا نعمة.

القيامة والعبور إلى السماويات

إن مكان الإنسان الحقيقي قبل السقوط كان في جنة عدن، وبعد هذا سيكون في الفردوس ثم في ملكوت السماوات. فالأرض بالنسبة لنا موضع غربة، والذين هم للرب يحيون على الأرض وكأنهم في السماء، يشتاقون إلى سرعة الانطلاق من هذا العالم "لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا" (مت ٦: ٢١).

والذين رقدوا على الرجاء قبل المسيح كانوا مسبيين في الجحيم إلى أن أتى السيد المسيح وأصعدهم.

شيء جميل جدًا أن شعب الله وهو سائر في غربة هذا العالم يشعر بحضور الله وعنايته فتصبح أنظارهم متطلعة نحو السماويات مع شركة السمائيين والملائكة. ونحن نقول في ذكصولوجية باكر التي تُقال في التسبحة اليومية: "نسجد للآب والابن والروح القدس. السلام للكنيسة بيت الملائكة". فالملائكة صاعدون ونازلون في القداس الإلهي وفي صلوات العشية وباكر.

يقول معلِّمنا بولس الرسول في رسالته إلى أهل كولوسي: "مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أَقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي اقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (كو٢: ١٢).

في المعمودية نتَّحد بموت وقيامة السيد المسيح ومَن يتّحد به – بموته وقيامته– يتحد به في صعوده إلى السماء، ويعيش حياة النصرة الروحية. إننا في المعمودية قد صرنا متحدين مع الرب بشبه موته وبشبه قيامته (أُنظر رومية ٦). فنحن في المعمودية ننال شركة الموت مع المسيح وقوة القيامة معه "مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أَقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (كو٢: ١٢).

القيامة المقصودة هنا هي قيامة الحياة في البر والنصرة على الخطية. كما قال معلمنا بولس الرسول عن الله: "وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ" (٢كو٢: ١٤).

فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ

"فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ" (كو٣: ١).

إن اتحادنا بالسيد المسيح القائم من الأموات يجعل فكرنا سماويًا، فنشترك مع الملائكة في التسابيح والصلوات على سلم يعقوب. الكنيسة فكرها سماوي، كما قال معلمنا بولس الرسول "فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ" (في٣: ٢٠). وبما أن سيرتنا فوق في السماوات فكل سلوك حسب الجسد يكون مرفوضًا. نحن نشعر أننا غرباء ونزلاء على الأرض، لأن الولادة الجديدة تجعلنا غرباء، إنما الذي لم يولد الولادة الجديدة لا يُعتَبر غريبًا على الأرض، لأن الله في المعمودية أنعَم لنا بالميلاد الفوقاني؛ فولادتنا من الماء والروح جعلتنا مولودين من فوق، "إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ" (٢كو٥: ١٧). وعملية الخلق الجديد هذه أعطَتنا نَسَبًا جديدًا فأصبح انتسابنا للسماء وليس للأرض، وأصبح وجودنا على الأرض غربة، كما قال السيد المسيح: "لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ" (يو١٧: ١٦)، "لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ" (يو١٧: ١٥).

تبدأ علاقة الإنسان مع الله حينما يطرح عنه مشيئة الجسد ليتبع مشيئة الروح؛ وفي ذلك يقول الكتاب: "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ

وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنَ اللَّهِ" (يو ١: ١٢-١٣). ينبغي أن ينتمي الإنسان إلى مملكة السماء لكي يستحق أن يكون شريكًا في الميراث الأبدي وينال الموعد.

النفوس التي هي للرب، تعيش في هذا العالم في أنين

وفي شوق مستمر للانطلاق للحياة الأبدية

حيث الحياة مع السيد المسيح.

إن العلامة الحقيقية للزهد في العالم،

هي الاشتياق للانطلاق من هذا العالم.

يقول معلمنا بولس الرسول: "أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوبًا" (غل٣: ١). مَن يريد أن يأخذ النعمة والبركة في حياته عليه أن يُثَبِّت نظره نحو السماويات، لكن مَن ينظر إلى الأرضيات لن يأخذ البركة.

فلينظر كل إنسان إلى نفسه: إلى أي مدى هو منشغل بالتسبيح والصلاة؟!

إلى أي مدى أفكاره مشغولة بالأمور السمائية؟!

إلى أي مدى يكوِّن صداقة مع الملائكة والقديسين؟!

إلى أي مدى يستفيد الناس من رؤيته، ومن سماع حديثه، ومن الجلوس معه؟! وهل كلماته ممسوحة بمسحة الروح القدس كما يقول الكتاب "لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُم بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ" (أف ٤: ٢٩). إلى أي مدى هو متحرر من عبودية اللّذات الحسية من الشهوات العالمية بحيث يسلك بطريقة روحية حسب الوصية وكل ما يفعله يفعله لمجد الله.

القيامة والعبور من خلال الإفخارستيا

إن إمكانية النصرة على الخطية متاحة لكل من يجدِّد مفعول موته وقيامته مع السيد المسيح من خلال سر التوبة والاعتراف، والاتحاد بالمسيح في سر الإفخارستيا. **إن ثباتنا في الرب يكون عن طريق الإفخارستيا، لذلك فلنعيِّد بالشكر الأبدي. نعيِّد إفخارستيًا في هذا الزمان بنتاج الكرمة، ثم نشربه جديدًا مع المسيح حينما نشكره شكرًا أبديًا على محبته، هناك في الراحة**

الأبدية حيث إشراقة الحياة الجديدة عندما لا يكون هناك زمن فيما بعد.

إن الحياة المسيحية كلها تدور حول فكرة الذبيحة، ومنذ آدم إلى مجيء السيد المسيح اهتَّم الله بالذبائح. بالطبع ليست مسرة الله في الذبائح الحيوانية على الإطلاق حيث يقول الكتاب: "ذبيحةً وقربانًا لَم تُرِدْ، ولكن هيَّأتَ لِي جسدًا؛ بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر" (عب ١٠: ٥؛ أنظر مز ٤٠: ٦). لكن كل ظلال العهد القديم والذبائح التي قُدِّمت كانت تؤكد فكرة أن هناك ذبيحة خالدة، ذبيحة حيَّة تستطيع أن تعطي الحياة للذين يقبلونها.

الذين يتساءلون قائلين لماذا كان ينبغي أن يُصلب السيد المسيح؟ نسألهم ولماذا كانت كل الذبائح منذ خلقة الإنسان إلى هذا اليوم إلاَّ لأن هذه الذبائح كلها تشير إلى الذبيحة الحقيقية، التي هي **ذبيحة السيد المسيح نفسه الممتدة عبر كل الأجيال فوق الزمن، وتستطيع أن تطهّر كل خطايا العالم. إنها ذبيحة إلهية، غير خاضعة للزمن، وغير خاضعة للمكان. ولكنها فوق الزمان والمكان، ومن خلالها نستطيع أن نفهم كل طقوس ذبائح العهد القديم وشرائعها.**

لقد ترك لنا السيد المسيح ذكرى موته المحيي في سر الإفخارستيا، وأوصى تلاميذه قائلاً: "اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" (لو٢٢: ١٩)، لنتذكر محبته على الدوام.

ما هو التذكار؟ التذكار هو تذكار حُبه، تذكار موته على الصليب، كما نقول في القداس الإلهى "في كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكروني إلى أن أجئ". ففي كل صلاة قداس يكون دم السيد المسيح حاضرًا في الكأس، لذلك قال "هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ" (لو ٢٢: ٢٠).

إننا نعيش العهد الجديد ليس كتذكار انتهى؛ ولكن كتذكار حي قائم ممتد. لذلك قال: "اصْنَعُوا هَذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي" (١كو١١: ٢٥).

وقد شرح القديس بولس الرسول هذا وقال "فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ" (١كو١١: ٢٦). لذلك نقول إنه تذكار حي وليس مجرد تذكار رمزي؛ هو امتداد لذبيحة الصليب. فنحن نُخْبر بموت الرب؛ لأن ذبيحة الصليب تكون حاضرة بالفعل في وسطنا أي جسد الرب

ودمه. فإذا كان دم السيد المسيح الذي سُفك على الصليب هو نفسه الذي يكون حاضرًا في القداس؛ فليس هناك تذكار أقوى من ذلك. ونُخبر بموت الرب عندما نشرب من هذه الكأس لأننا نؤمن أن ما بداخل الكأس هو دم حقيقي. ولا يمكننا أن نُخبر بما لم نره ونختبره. فالذين أخبروا بالقيامة؛ هم شهود القيامة، والذين يخبرون بموت الرب؛ هم شهود موته. لذلك فنحن نُخبر بموت الرب وقيامته وأيضًا بمجيئه الثاني، لأننا نختبر هذه الأمور اختبارًا حقيقيًا في سر التناول المقدس.

القداس هو سلم يعقوب

ينبغي أن نعلم أن القداس هو سلم يعقوب المنصوب على الأرض ورأسه يمس السماء، إذ نصلي في القداس ونقول: "فيما نحن أيضًا نصنع ذكرى آلامه المقدسة وقيامته من الأموات وصعوده إلى السماوات وجلوسه عن يمينك أيها الآب وظهوره الثاني الآتي من السماوات المخوف والمملوء مجدًا".. أي أننا في القداس نتذكر الصلب والقيامة والصعود والمجيء الثاني؛ لذلك فالقداس هو سلم يبدأ من على الأرض انطلاقًا من فكرة التجسد

والفداء والصلب والقيامة، ثم ينطلق بنا نحو السماويات. ومن يحضر القداس ولا يشعر بأنه قد رُفع للسماء يكون قد حضر ولم يستفِد شيئًا.

عندما ندخل إلى الكنيسة لحضور القداس لابد أن نعلم أن هذه لحظات سماوية سنقضيها في شركة مع السمائيين، ووسيلة تنقلنا من الأرض إلى السماء حيث نبدأ في تذوق حلاوة الحياة الأبدية؛ لأن الله من خلال القداس يجعلنا نتذوق عربون الملكوت ونشتاق للسماء. فلننهض من الظلمة الأرضية ونتطلع نحو النور المشرق من العلاء.

وعربون الملكوت ليس هو فقط أن نأكل جسد السيد المسيح، لكنه أيضًا أننا حينما نأكله تنشط فينا عوامل الاتحاد مع السيد المسيح في موته وقيامته وصعوده إلى السماء. فبالتناول من جسد السيد المسيح يعلن الإنسان موته عن الخطية، كما يعلن قيامته في حياة البر والفضيلة. وأيضًا بالتناول نتحد مع السيد المسيح في صعوده إلى السماوات لكي نعيش في شركة مع السمائيين.

فلا تقف في الكنيسة موقف المتفرج من هذا السر.. أعني لا تقف متفرجًا لتشاهد أموراً سماوية تحدث، لكن لابد أنك تصل من خلال اتحادك بالسيد المسيح إلى شركة حقيقية في السماويات لأنك اتحدت بالسيد المسيح الصاعد إلى السماء. وأيضًا عندما نتذكر في القداس مجيئه الثاني فهذا يعني أننا نتخطى المرحلة الحالية التي هي صعوده إلى السماء، إلى المستقبل الذي هو مجيئه الثاني واستعلان الملكوت الأبدي. فالقداس هو عربون الملكوت؛ لأنه ينقلنا من الزمن الحاضر إلى الزمن الآتي.. وجسد الرب ودمه هو عربون الحياة الأبدية.

إن وقت القداس يختلف عن أي وقت آخر لأن هذه لحظات سماوية لمَن له عين تبصر وقلب يفهم. ولكن مشكلتنا أننا نرتبك بأمور ثانوية وننسى الجوهر، فننشغل بالاهتمام بشكليات العبادة مثل الوقوف أو السجود أو الشورية أو الشمعة.. إلخ، وننصرف عن الجوهر، فنحرم أنفسنا من التمتع بالسماويات. هذه ليست دعوة للاستهانة بالطقوس بل دعوة للانطلاق من الحرف إلى الروح.

القيامة والعبور إلى حياة الفرح الروحي

المسيحية في جوهرها هي حياة الفرح الروحي "اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ وَأَقُولُ أَيْضًا افْرَحُوا" (في٤: ٤). والسيد المسيح قال لتلاميذه "حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ" (يو١٦: ٢٠)، وقال أيضًا "وَلَكِنِّي سَأَرَاكُمْ أَيْضًا فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ وَلاَ يَنْزِعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ" (يو١٦: ٢٢).

ولكن الفرح في المسيحية يأتي بعد الحزن "طُوبَى لِلْحَزَانَى لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ" (مت٥: ٤)، وهذا نراه في حياة التوبة.. "لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ" (٢كو ٧: ١٠). فالإنسان يحزن على خطيته ثم يفرح بالرجوع إلى أحضان الله. يقضي الإنسان فترة معينة في ندامة وألم ومرارة ونوح وبكاء ثم يأتي الفرح.. تمامًا مثلما حدث في أحزان الصليب. فقد قال السيد المسيح "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ" (مت٢٦: ٣٨)، لأنه في ذلك الوقت كان يحمل خطايا العالم كله. فقد كان حزينًا بسبب سقوط الإنسان وفجوره، ولكن الحزن تحوَّل إلى فرح بالقيامة. وبالمثل فمرحلة التوبة هي شركة مع السيد المسيح في أحزانه في بستان جثسيماني، ولكن حزن التوبة لا يدوم وإلاَّ تفقد المسيحية معناها وقوتها، فالدعوة إلى هذا الحزن هي دعوة إلى حزن مؤقت، أما الدعوة إلى الفرح فهي دعوة دائمة. وينبغي ألاَّ

يأتي الفرح إلاَّ مع النصرة والرجاء والنقاوة وحياة القداسة، أما الفرح مع الخطية والسقوط والتهاون، فهو ليس فرحًا روحيًا وليس من الله.

الإنسان الذي يبكي على خطاياه ويشعر بالندامة الحقيقية هو الذي يستحق أن يفرح بالتوبة والنصرة والقيامة. أمَّا الإنسان الذي لا يشعر بوخز في ضميره بسبب الخطية، ولا بكآبة قلب بسبب خيانته للسيد المسيح، فكيف يستحق أن يسمع حُكم البراءة أو التبرير؟ فلابد أن يقترن الفرح بالنقاوة لأنه مكتوب "لاَ سَلاَمَ قَالَ الرَّبُّ لِلأَشْرَارِ" (إش٤٨: ٢٢).

الإنسان الذي يسرع إلى الفرح

بدون أن يَعبُر وادي الحزن والدموع،

فإنه يفقد قوة الثبات في الفرح الجديد الذي ناله.

لأنه على قدر تذللنا أمام الله بسبب خطايانا

على قدر ما نُعطَى إمكانية الفرح الدائم.

إن الإنسان الذي يفرح فرحًا روحيًا لا يستطيع أحد أن ينزع فرحه منه، كما قال ربنا يسوع المسيح لتلاميذه: "وَلاَ يَنْزِعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ

مِنْكُمْ" (يو١٦: ٢٢)، أما الذي يفرح بأمور العالم، فعندما يفقدها يفقد معها فرحه وسلامه.

من ضمن علامات امتلاء الإنسان من الروح القدس أن يكون داخله فرح دائم لا يُنزع "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ" (غل٥: ٢٢). وعندما يقول الرسول "اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ" (في٤: ٤)، فهذا ليس تصريحًا لكل إنسان أن يفرح حتى لو كان يعيش في حياة الخطية، لأن عبارة "اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ"، إنما يقصد بها: **انتصروا فافرحوا بالنصرة.** فهو هنا يأمرنا أن نصل إلى الفرح الحقيقي الذي يأتي من دوام العشرة مع الله. أما الإنسان الذي لا يعيش في التوبة فلا يحق له أن يفرح، بل عليه أن يُسرع إلى الحزن والندامة على خطيته، ويدوم فيهما حتى يشعر بالتعزية وأن الله قد طمأنه. وهنا يبدأ نور الرجاء أن يشرق في قلبه، ويتسلل إلى قلبه الفرح الروحي الحقيقي.

فلنعيّد حقًا بقيامة السيد المسيح من الأموات طارحين كل أحزان العالم الحاضر لأن الحياة قد أظهرت (انظر ١ يو ١: ٢).

ينبغي أن نفرح ونُسَر بقيامة الرب من الأموات،

وندرك أنها قوة دافعة تعمل في حياتنا الآن

وليست مجرد تذكار،

وأن القيامة واقع نعيشه ونتمتع به

ونحتفل به أيضًا في حياتنا الداخلية؛

حينما نطلب من الله المعونة لكي ما ننتصر على الخطية ونعيش

حياة القداسة وحياة النصرة.

ليبارك الرب حياتكم،

وأفراح القيامة تملأ قلوبكم

وأهنئكم جميعاً بعيد القيامة المجيد

ولإلهنا المجد دائمًا أبديًا أمين.